

الفصل السادس

دور الأسرة في نشأة الخوف عند الطفل

مقدمة:

الأطفال هم النعمة التي من دونها لا طعم للحياة ولا لون، ومن دون وجودهم تصبح الأيام عابسة، كليالي الخريف، التي بدأ يتساقط فيها ورق الشجر، فالأطفال هم زينة الحياة الدنيا؛ لذا فإن من أهم حقوقهم على آبائهم وأمهاتهم حصولهم على تربية سليمة، تؤهلهم لبناء حياتهم ومستقبلهم على أسس سليمة، وتجعلهم إنساناً نافعاً لأنفسهم ووطنهم، ومما لا شك فيه أننا -نحن البشر- نتميز عن المخلوقات الأخرى بالمقدرة على التمييز بين الضارّ والنافع، والصالح والطالح؛ لذا، ينبغي أن نحاول تربية أولادنا وفق المنهج الإسلامي، المتمثل بنهج وسيرة وسلوك الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله الأطهار-.

وقد كانت تربية الأولاد -ولا زالت- هي المهمة الأصعب على مدار سنوات طويلة من التعب والشقاء؛ من أجل الوصول إلى أفضل الطرائق للحصول على التربية السليمة، ولكن اختلفت الطرائق أيضاً، وتعددت الوسائل، التي أدّت إلى تشكيل أكثر من طريقة من أجل تربية الأبناء، مثلما أصبح الاستخدام السيئ للتكنولوجيا من الأمور الخطيرة التي تواجه

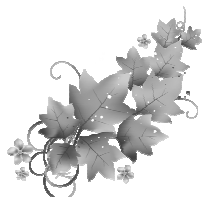


الآباء، إضافةً إلى الكثير من المشكلات الأخرى التي أصبحت بمثابة عقباتٍ أمام العديد من الآباء والأمهات.

دور الوالدين في تنشئة الأولاد:

تشكل التربية السليمة للأطفال في وقتنا الحاضر تحديًا للكثير من الناس، فالوقت المتاح لكثير من الآباء يتقلص باستمرار؛ بسبب صعوبة العيش، وكثرة مسؤوليات الحياة، ومن هنا برزت الحاجة لأن يشارك الزوجان في تحمل مسؤولية تربية الأطفال؛ بحيث يتحمل كل طرف منهما جزءًا منها، وبالتالي تتوزع الأعباء على الطرفين؛ حيث يخصصان وقتًا للجلوس مع أطفالهما وتوجيههم.

ولأن أساليب التنشئة الاجتماعية تختلف من شخص لآخر، ومن عائلة إلى أخرى، يتعرض بعض الأطفال لتربية اجتهدية خاطئة، في الغالب تعتمد على عادات اجتماعية خاطئة، أو سوء فهم لأساليب التربية الفاعلة؛ لذا، نرى الكثير من الأطفال لديهم مشاكل تربوية كبيرة في حياتهم، وهذه غالبًا ما تؤثر على نجاحهم في حياتهم العملية والاجتماعية، ويشتكى أهاليهم من وجودها في أولادهم من دون أن يعلموا أنهم هم السبب في ذلك، من خلال الأساليب التي اتبعوها في تربيتهم. فمثلاً من الأساليب الخاطئة في التنشئة الاجتماعية استخدام أسلوب "الإقصاء". فمثلاً يقوم الأب بإسكات ولده حينما يتكلم، أو يشارك في حديث بوجود ضيف، أو حتى بالمنزل بين من هم أكبر منه عمرًا. وربما يعتبر ذلك قلة للأدب، وهذا



التصرف التربوي الخاطئ يكون لدى الطفل شخصية ضعيفة، غير قادرة على ممارسة حقها في المشاركة والنقاش بفعالية؛ مما يتسبب في إضعاف قدرات الولد الشخصية، وبالتالي الحياتية، مثلما قد يسبب هذا الأسلوب سلوكًا انعزاليًا، وإضعاف ثقته بنفسه؛ لشعوره بالإقصاء. لذا، من المهم إعطاء الفرصة في المشاركة في الحديث، وإبداء رأيه، مع التوجيه بطريقة تخلو من التقرع في حالة تجاوز الحدود المعقولة من الأدب. ويؤكد التربويون على ضرورة مشاركة الطفل في الحديث بين الكبار؛ لأنها تولد لديه الثقة بالنفس، وإثرائه بجرعة كبيرة من الثقافة. ومن الأساليب الأخرى السيئة في تنشئة الأولاد: "التذبذب في المعاملة" بين الأم والأب، ولا سيما حينما يطلب الولد من الأب شيئًا ويقول له: "لا"، والأم تقول: "نعم"، فهذا التذبذب قد يولد لدى الطفل اضطرابًا سلوكيًا وانفعاليًا؛ نتيجة الاختلاف في أساليب المعاملة.

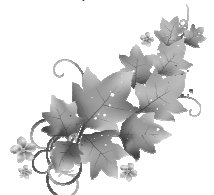
أما أسلوب المنع "تخويف الطفل"، فمثلًا يصور بعض الآباء الشارع والمجتمع (خارج أسوار المنزل) مجتمعًا مخيفًا، يحيط به الكثير من الأخطار، وهذا يولد لدى الطفل الخوف، وعدم الأمان في التعايش مع الآخرين خارج المنزل، وبالتالي يتسببون في خلق شخصية انطوائية ضعيفة، غير قادرة على مقاومة التحديات والعقبات في الحياة.

أما الأساليب المتشجعة، والخلافات العائلية الشديدة، والنقاشات الحادة بين الأب والأم، إذا تمت أمام مرأى ومسمع الأولاد؛ فإنها تخلق نوعًا من الخوف والقلق على التعايش بين الأب والأم. لذا يجب تجنب النقاشات



أمام مرأى ومسمع الأولاد، وإن تمت فيجب على الوالدين توضيح ذلك إليهم، بأن ما حدث شيء طبيعي، لن يؤثر على علاقتها.

مثلاً أن فتح الحوار مع الأولاد من طرف الوالدين، ومنحهم الفرصة في الحديث، والثناء على كلامهم، يعطي للحوار نكهة خاصة، ويضفي عليه جواً من الحب والثقة بالنفس، وهذا هو المهم؛ إذ إننا نجد اليوم - في بعض الأحيان - بعض الشباب لا يقدرّون على الجلوس مع الناس الغرباء، أو في المناسبات، وحتى إذا جلسوا لا يتكلمون؛ ليس لأنهم لا يريدون الحديث، وإنما لا يقدرّون على الحديث؛ بسبب أزمات نفسية يشعرون بها، مثل: الخوف والاضطراب، وهذا يخلف كدمات نفسية عميقة في نفسية الشاب، ناتجة عن أشياء كان الطفل يعيشها في الصغر، مثل: القمع وعدم إعطائه الفرصة للحديث، وتوصيل فكرته؛ بل القمع، والملاحظات الجارحة التي تجرح نفسيته، وتجعله يهرب من الجلسات العائلية؛ لأنه إن جلس فلن يقول شيئاً، وإن تكلم فلن يسمع له أحد .. فقط سيعمق الألم في نفسه، وهذا ما يجعل الطفل عندما يكبر ويصبح شاباً، يهرب من الجلسات العائلية أو الاجتماعية، ويميل إلى الوحدة والشك في نفسه، وفي قدرته على العمل، ويضعف ثقته بنفسه كلياً مع مرور الأيام، ما لم يعالج هذا الخلل بسرعة، ويعطى الشاب الحرية داخل البيت، والعمل على تعزيز الثقة بنفسه وبقدراته الذاتية؛ كما ينبغي تعليم الطفل كيف يحترم ويخضع لنظام الأسرة، وتدريب الطفل على أهمية اتباع النظم السائدة في المنزل، والتمسك بالعادات والتقاليد الأسرية الحميدة، بحيث يتعامل مع الآخرين بأسلوب



مهذب، ويدرك حدود حرّيته، من دون الإضرار بحريات الآخرين، واحترام رغباتهم، وأن ينشأ على الطاعة لا العصيان.

ولذا، يجب على الأهل إعطاء الطفل قدرًا من الاستقلال؛ للتعبير عن ذاته، وإبداء الرأي، بحيث يكون دوره إيجابيًا في الوسط المحيط به عندما يكبر، وينصح علماء التربية بضرورة أن تتسم تربية الطفل بالحزم والجدية والمنطقية والثبات، مع التأكيد على ضرورة أن يشعر الطفل بالحب والأمن والأمان من جميع مَن يحيطون به، ويترك ذلك أحسن الأثر على نضجه العاطفي عندما يصبح شابًا، يتأثر ويؤثر فيمن حوله من الأفراد، وعلى الأهل أن يتحلوا بالحكمة والصبر والمثابرة وألا يسارعوا إلى عقاب الطفل، وإذا اضطرت الأم إلى عقاب طفلها، يجب أن توضح سبب العقاب للطفل؛ حتّى لا يقع في الخطأ مرة أخرى، ويجب أن يتحلّى أسلوب تربية الأطفال بالمرونة والتكيّف وفقًا لاحتياجات كل طفل، ولا جدال أن التربية القائمة على الحب والحنان والتشجيع والتقدير، والقدرة على الاستجابة للنظم المتّبعة، تؤتي ثمارًا طيبة في مراحل العمر المختلفة. ويعد الهدف من عملية التربية الصحيحة الحصول على مجتمع متماسك، ومتمسك بالقيم والمبادئ؛ وذلك من أجل تفادي جميع الأمور التي تعرّض المجتمع للانحيار، ويعد الأبناء اللبنة التي تكون المجتمع؛ فإن صلحت هذه اللبنة كان المجتمع قويًا ومتماسكًا.



الفتى الخواف:

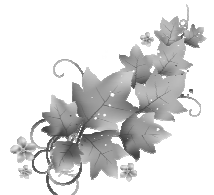
هذا الفتى خواف، لا يكاد يقدم على شيء، نزعة الخوف نشأت معه منذ الصغر، فوالده يخوفه من كل شيء: يا ويلك إذا فعلت كذا .. راح أخاصمك .. سوف أضربك إن عملت كذا!

ومع تكرار كلمات التهديد والتخويف على أذنيه، ينشأ هذا الطفل الصغير وقلبه يرتجف من كل شيء. بل لو كان عنده إبداع في شيء ما فسوف يقضي عليها هذا الأسلوب، وتختفي تمامًا، وهكذا تموت مهاراته قبل أن تخرج للعالم، والسبب -بكل بساطة كما رأينا- هو تربية الوالدين الخاطئة!..

نعم إنها التربية على الخوف، والتي كانت -ولا تزال- عند الكثير سائدة في المجتمعات القديمة. وهي نتاج لثقافة مجتمع أن الطفل لا بد أن يخوف من كل شيء، حتى خرجت لنا أجيال لا تستطيع التكلم أمام الميكروفون؛ بسبب الخوف، ولا تثق بنفسها؛ بسبب هذه النزعة.

تربية الخوف:

من المؤكد أن تربية الخوف تجعل الطفل يخاف حتى من الصواب، يخاف أن يكون فيه نسبة من الخطأ، يخاف ألا يكون على هوى من طلبه منه. تنشأ نزعة الخوف في البيت وفي المدرسة بالحناق والتخويف والضرب والتهديد..



التربية على الخوف تكبر مع الإنسان، فتجد الكثير لا يزال يخاف من المجتمع، ويخاف من الفشل، ويخاف من النقد، ويخاف من النجاح نفسه .. التربية على الخوف تزعزع الثقة في نفس الطفل، وتجعله متردداً دوماً، فلا يكاد يستقر على قرار، ويتردد ألف مرة ومرة قبل أن يقدم على أمر. التربية على الخوف، بدأنا نشاهد أثرها جلياً واضحاً في مجتمعاتنا، فشأت أسر يقودها أب غير واثق، تقوده الرعاع نحو التصرفات الرعناء. وبالمقابل، فإن التربية على الحرية الصحيحة، وفي جو صحي، يوفر هامشاً من الحرية الموجهة تصنع شخصية قيادية مقدامة صاحبة قرار، شجاعة وواثقة بنفسها.

طفل صغير يقول عنه مدرسه إنهم لا يستطيعون أن يخيفوه، والسبب حين سألوا والده، قال: إنه رباه على الثقة بنفسه، وعدم تهميش رأيه، وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وتوفير الجو الصحي له؛ ليمارس كافة مهاراته.

وفي بيت واحد .. ترى أسرة نشأ أطفالها في بيئة متناقضة، فالأب كان يضرب الكبار، والصغار لم يضربوا، فأصبح الصغار أفضل شخصية وإنتاجاً وإبداعاً من الكبار، وأكثر ثقة بأنفسهم وقراراتهم وتصرفاتهم، والسبب أن الوالدين (أو الأب في الغالب) قد انشغلوا كثيراً أو تدربوا على الكبار، فكان البكر وما يليه هم الضحية.

الجيل القادم مطالب بمصاحبة أطفالهم وتعليمهم أكثر من نهج طريقة الضرب على كل خطأ، لا بد أن يجعل في ذهن الطفل أن الضرب لا يكون



إلا للأمور الجسماء؛ بل حتى النهر والزجر لا بد أن يكون على طبقات صوتية متفاوتة .. فالخطأ البسيط مثل سكب الشاي على السجاد ليس كالخطأ الكبير مثل الخروج من البيت في ساعة متأخرة من دون رقيب.

وحتى طبقات الصوت تتعود عليها أذن الطفل، فحين يعرف الطفل الخطأ بصوت هادئ يكون للنفس قابلية أكثر للتنفيذ. وعلى الطرف الآخر، لا بد أن يتحرر المرء من شهوات نفسه التي تنزعه إلى رفع الصوت، وإبراز الشخصية الفولاذية أمام الأطفال الصغار. فالابن الصغير يسمع ويتعلم أكثر وأسرع من الكبير، وحين تعلمه أن هذا الأمر خطأ بأسلوب سهل لين، يتعلم مباشرة، ويتذكر الكلام حال تكرار الحالة أمامه؛ بل ربما يعلمك أنت حال خطئك.

الكلمات البذيئة كأبسط مثال يعيشه الغالب وللأسف في حياتنا اليومية.. أحدهم يروي قصة طفله حينما تلفظ بكلمة نابية تعلمها من الاجتماعات الأسرية، فقال له: لا يا ابني، عيب هذا الكلام، أخذ الطفل - الذي يقل عمره عن ثلاث سنين - نصيحة والده. وفي أحد الأيام، سمع والدته في فورة غضب تقول الكلمة نفسها، فقال الطفل مباشرة: عيب ماما!!

